خطبة جمعة بعنوان

التبيين لعظمة الصدق وأنّه أساس الدِّين

لِفَضِيْلَةِ شَيْخِنَا العلامة

أبِيْ عبدالرحمن يحيى بن علي الحجوري

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ} [آل عمران: 102].

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: 1].

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [الأحزاب: 70-71]

أما بعدُ : نادى الله عز وجل عباده المؤمنين، آمرًا لهم بتقواه والكون مع الصادقين ، فقال عز من قائل بعد ذكر توبة الله عز وجل على كعب بن مالك وصاحِبَيه :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (119)}[سورة التوبة:119].

وهذه الآية، وهذا الأمر العظيم من الله سبحانه وتعالى فيه وجوب الكون مع الصادقين بشتى معانيه، فهو شاملٌ للولاء لهم، والحذر من الولاء لمن سواهم ، قوله {وكونوا مع الصادقين} أي كون نصرةٍ وتأييدٍ كون رفقةٍ ومجالسة، كون إعانةٍ وتسديد بقدر المستطاع، كون صحبةٍ وأخوة، فهذا كقول النبي صلى الله وسلم :"المُؤْمِنَ للمؤمنِ كالبُنْيانِ يشدُّ بَعضُهُ بعضًا"، أخرجه البخاري (6026)، ومسلم (2585)، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

أي يعضده، وكونوا مع الصادقين، واشتملت هذه الآية على عظمةِ الصدق وأهله، وعلى توجيه العباد إلى الصادقين ونصرتهم ، فإنّ الصدق عبادَ الله لو لم يكن من فضله إلا أنّ الله عز وجل اتصف به، فالله جل جلاله موصوفٌ بهذه الصفة العظيمة؛ صفة الصدق، قال الله

سبحانه وتعالى:{قُلْ صَدَقَ اللَّهُ ۗ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (95)}[سورة آل عمران:95].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم قال : صدقَ اللَّهُ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ"،رواه أبو داود(1109) عن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه.

وقال الله جل وعلا:{وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ}[سورة آل عمران:152].

وقال الله :{لَّقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ }[سورة الفتح:27].

أي أنه وعده صدق وحق لا يخلف، وتحقق ما وعد الله سبحانه وتعالى به، وقال الله عز وجل :{وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (73)وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ}[سورة الزمور:73،74]

فوعد الله للمؤمنين ، للمتقين ، الجنة يدخلونها، {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (74)}

ولا أحدٌ أصدق من رب العالمين، قال الله:{وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا (87)}[سورة النساء:87].

وقال الله :{وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا (122)}[سورة النساء:122].

فقوله صدقٌ وهو متصفٌ به، قال الله:{وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (115)}[سورة الأنعام:115].

فكلماتُ الله وكلام الله صدقٌ، وتمامها بالصدق والعدل، فلا يعتريها ظلمٌ ، ولا يعتريها غير الصدق، ولهذا صار كتابُ الله وكلماتُ الله تكذيبُ ذلك آية منه حرفا منه من أظلم الظلم أشد الظلم كفرٌ بالله عز وجل، قال الله عز وجل:{

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ (32)}[سورة الزمر:32].

فمن كذّب بالصدق عن الله، والصدق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فان أخبار الله صدق، وكتب الله صدق، وهكذا كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الصادق المصدوق، لهذا أجمع العلماءُ على كفر من كذب آية واحدة، آية واحدة من كتاب الله، وأهل العلم على كفر من كذّب حديثا يُعلمُ صحته، حديثا ولو واحدا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، معلوم الصحة، يعتقد صحته، لأنه كذب بالصدق، كما أنه لا يجوز تصديق الكذب، فلا يجوز تكذيب الصدق، وفي الحديث الثابت عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" من أتى كاهنًا فصدقه بما يقول سأله فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد) .

تصديق الكذابين، تصديق الكهان الذين يقولون ما يتناقض مع أدلة القرآن والسنة، فيكون تصديقهم تكذيبا لله، تكذيبا لشرع الله، لهذا تضمن الكفر من هذه الوجهة، صار كفر بما أنزل على محمد، لأن الكهان لا يأتون بشيء فهم كذابون، تكذيب الصادقين وتصديق الكاذبين من تقليب الحقائق، ومن علامات الساعة، فقد ثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" قبل الساعة سنوات خداعة) .

قال أهل العلم: خداعٌ أهلها، ليس هذا من سب الدهر المقصود، خداعٌ أهلها إلا من رحم الله، وهذا على الأكثرية والأغلبية، قال الله :{وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ (103)}[سورة يوسف:103].

وقال الله:{وَإِنّ كثِيرًا مِّنَ الخُلطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ}[سورة ص:24].

هذا على الأغلبية، خداعّ أهلها، ما السبب في هذه المخادعة؟ ما هذا، أبانه صلى الله عليه وسلم بقوله:"

يصدّقُ فيها الكاذِبُ ويُكذّبُ فيها الصّادِقُ ويُؤتمنُ فيها الخائنُ ويُخوّنُ فيها الأمينُ وينطِقُ فيها الرُّوَيْبضةُ قيلَ وما الرُّوَيْبضةُ قالَ الرّجلُ التّافِهُ في أمرِ العامّةِ"؛أخرجه ابن ماجه (4036) واللفظ له، وأحمد (7912)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

في لفظ" التافه التافه يتكلم في أمر العامة).

أي هو الذي له الشأن عندهم، والتوجيه لهم، وما الى ذلك، هذا لتعلموا عباد الله عظمة الصدق في هذه الحياة الدنيا، ما يقوم دين الله إلا عليه، ويُسأل يوم القيامة عنه، قال الله:{لِّيَجْزِيَ اللَّهُ الصّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ}[سورة الأحزاب:24].

وقال الله:{لِّيَسْأَلَ الصّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ}[سورة الأحزاب:8].

آيتان، فالسؤال عنه يوم القيامة، والجزاء عليه يوم القيامة، على الصدق، وفي حديث البراء أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في الذي يؤتى به من المؤمنين فيجيب بأجوبة مسددة فيقول: أن صدق عبدي، صدق، الله ربه، الإسلام دينه، محمد نبيه، صدق فأفرشوه من الجنة والبسوه من الجنة، وافتحوا له نافذة إلى الجنة، يأتيه من طيبها وريحها"؛

أخرجه أبو داود (4753) واللفظ له، وأحمد (18557)،عن البراء بن عازب رضي الله عنه.

والشاهد هذا أجاب بأجوبة صادقة، فكان من أهل الجنة، والآخر يجيب بأجوبة كاذبة، ها لا أدري، كذب عبدي فأفرشوه من النار، ويبقى في قبره وهو يعذب بالنار لأنه كذاب، حتى في أجوبته.

ايها الناس إن عظمة الصدق هي عظمة دين الله، لعظمة دين الله، فلا يقوم توحيد إلا عليه، ولو قال إنسان ألف مرة لا إله إلا الله ولم يكن ذلك صادرا عن صدق ما نفعته شيئا، هذا صفة الكذابين المنافقين،قال الله:{وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (14)}[سورة البقرة:14].

وقال الله:{وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (14)}[سورة المجادلة:14].

وقال الله:{وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ ۖ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (107)}[سورة التوبة:107].

فصفاتهم هكذا يدعون الصدق وليسوا عليه، فالميزة في ذلك الذي ينتفع بدينه وإيمانه والحياة الدنيا هو الصادق، على أي حال كان، ففي الصحيحين واللفظ للبخاري(128)

، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"يا مُعَاذَ بنَ جَبَلٍ، قَالَ: لَبَّيْكَ يا رَسولَ اللهِ وسَعْدَيْكَ، قَالَ: يا مُعَاذُ، قَالَ: لَبَّيْكَ يا رَسولَ اللهِ وسَعْدَيْكَ ثَلَاثًا، قَالَ: ما مِن أحَدٍ يَشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلَّا اللهُ وأنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللهِ، صِدْقًا مِن قَلْبِهِ، إلَّا حَرَّمَهُ اللهُ علَى النَّارِ.

انظر هذا الحديث العظيم، صدقا من قلبه يقولها صدقا، لا يقولها كما يقول المنافقون الكذابون أو لا معنى لها عنده، ولكن صدقا من قلبه، النار تحرم عليه، فإنه إذا قالها صدقا طبقها فعلا، وإذا قالها كذبا ناقضها فعلا، هذا مدلولُ الحديث، ونظيره حديث أبي هريرة رضي الله عنه في الشفاعة للصادقين، أن أبا هريرة رضي الله عنه قال:"قلتُ يا رسولَ اللهِ من أسعدُ النّاسِ بشفاعتِك يومَ القيامةِ فقال النّبيُّ صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ لقد ظننتُ يا أبا هريرةَ أن لا يسألُني عن هذا الحديثِ أحدٌ أولى منكَ لما رأيتُ من حرصِك على الحديثِ أسعدُ النّاسِ بشفاعتي يومَ القيامةِ من قال لا إلهَ إلّا اللهُ صدقا من قلبه".

في لفظ "خالصا من قلبه" والمعنى واحد، صدقا من قلبه قالها بصدق،

هذا الصادق هو السعيد بشفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة، مع الصادقين، مع رسول الله. مع النبيين والصديقين، قال الله عز وجل:{وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا (69)} [سورة النساء:69].

هذا هو الركب، هذا هو الرفيق الأعلى، رفيق النبي والصديقين، وما من نبي الا وهو صديق من بابٍ أولى، قال الله عز وجل:{وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا (41)إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا (42)}[سورة مريم:41،42].

الشاهد منه أنه صديق، قد اشتملت نبوته على عظمة الصدق، وعلى الرتبة العليا فيه، وهكذا قال الله عز وجل:{وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ}

اذكره اذكر الصادقين، اثني على الصادقين، امدح الصادقين، كونوا مع الصادقين،{وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا (54)وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا (55)}[سورة مريم:54،55].

الله يرضى عن الصادقين، الصدق القولي والفعلي والعملي ، لا تظن أن الصدق هو مجرد تلفظ ، الصدق يستوعب حياتك كلها، ودينك كله، بدليل قول الله عز وجل:{لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۖ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ}

ثم وصف هذه الأصناف أصحاب هذه الأعمال مستوعبة للإيمان، قال {أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (177)}[سورة البقرة:177]

صدقوا أولئك إن صدقوا، فهذا هو الصدق المشتمل على الحياة كلها، صدق صفات الصحابة، وصفهم الله به، نصر الله دينه بالصادقين،

الكذابون ما ينصر بهم دين الله، المتلاعبون بدينهم لا ينصر بهم دين الله، حتى مهما كثروا أو قلوا، كثر مالهم أو قل، على أي حال كان، إنما ينصر الله عز وجل دينه بالصدق والصادقين، فنصر الله دينه بالصادقين الصحابة رضوان الله عليهم، قال الله:{لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ}

وصفهم أنهم أنصار الله، وأنهم أنصار رسوله فعلا، قال:{أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (8)}[سورة الحشر:8].

لا تزكية أعظم من هذا من رب العالمين، لهذا ما تجد مترجما يقول أبو بكر صدوق، عمر بن الخطاب صدوق، فلان بن فلان ثقة، لا ، هذه تزكية رب العالمين، مفروغ من تزكية الناس بعد ذلك، وهكذا النبي صلى الله عليه وسلم يزكي تلاميذه وأصحابه، إلا ما يخدش فيهم أولئك الأرفاض، وإلا فإن تزكية رب العالمين لهم أنهم صادقون بالإجماع، كلهم لا ينفرد منهم أحد عن هذا التزكية، فكلهم صادقون، كلهم عدول، كل الصحابة عدول على أي حال كان، صغارا وكبارا، عدول ما يحتاج إلى تعديل أحد، بتعديل رب العالمين، والثناء عليهم بهذه الآية وغيرها، الصدق صفة أهل الايمان، وخلص الإيمان، خلص المؤمنين، صفتهم، أثنى الله سبحانه على أنس بن النضر رضي الله عنه، من خلص المؤمنين، لما كان يوم بدر قال يا رسول الله غبت عن أول مشهد قاتلت فيه المشركين، لئن أشهدني الله مشهدا آخر ليرين الله ما أصنع، ما كان يوم أحد وتقدم إلى المشركين، قال إليك عني يا أنس،ثم قاتل حتى قتل وما عرفه أحد إلا أخته من شد كثرة الضرب فيه والطعن فيه والرمي فيه، أنغمس في أوساطهم، الشاهد من ذلك أنه نزل فيه قول الله سبحانه وتعالى:{مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ}، وبقي آخرون أيضا كلهم موصوف بهذه الصفة،{وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (23)}[سورة الأحزاب:23].

إنه حسن خاتمة يا عباد الله، الصدق إذا علم الله صدقك أنت إلى خير

في الدنيا والآخرة، قال اللّٰه:{إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (70)}[سورة الأنفال:70].

أنّ رجلًا مِنَ الأعرابِ جاءَ إلى النّبيِّ صلّى اللّهُ عليهِ وسلّمَ فآمَنَ بِهِ واتّبعَهُ وقالَ: أُهاجرُ معَكَ فأوصى بِهِ النّبيُّ صلّى اللّهُ عليهِ وسلّمَ بعضَ أصحابِهِ فلمّا كانَت غزوةٌ ، غنِمَ رسولُ اللّهِ صلّى اللّهُ عليهِ وسلّمَ فيها أشياءَ ، فقسَمَ وقسمَ لَهُ فأعطى أصحابَهُ ما قَسَمَ لَهُ وَكانَ يرعى ظَهْرَهُم . فلمّا جاءَ دفَعوا إليهِ فقالَ: ما هذا ؟ قالوا: قَسْمٌ قَسمَهُ لَكَ رسولُ اللّهِ صلّى اللّهُ عليهِ وسلّمَ . فأخذَهُ فجاءَ بِهِ النّبيَّ صلّى اللّهُ عليهِ وسلّمَ فقالَ: يا مُحمّدُ ، ما هذا ؟ قالَ: قَسمتُهُ لَكَ . قالَ: ما على هذا اتّبعتُكَ ، ولَكِنّي اتّبعتُكَ على أن أُرمَى هاهُنا وأشارَ إلى حلقِهِ بسَهْمٍ فأموتَ وأدخلَ الجنّةَ . فقالَ: إن تصدُقِ اللّهَ يَصدُقْكَ فلبثوا قليلًا ، ثمّ نَهَضوا إلى العدوِّ ، فأتى بِهِ النّبيُّ صلّى اللّهُ عليهِ وسلّمَ يُحمَلُ ، قد أصابَهُ سَهْمٌ حيثُ أشارَ . فقالَ النّبيُّ صلّى اللّهُ عليهِ وسلّمَ: أهوَ هوَ ؟ قالوا: نعَم قالَ: صدقَ اللّهَ فصدقَهُ وَكفّنَهُ النّبيُّ صلّى اللّهُ عليهِ وسلّمَ في جُبّتِهِ ، ثمّ قدّمَهُ فصلّى عليهِ . فَكانَ مِمّا ظَهَرَ مِن صلاتِهِ عليهِ: اللّهمّ إنّ هذا عَبدُكَ ، خرجَ مُهاجرًا في سبيلِكَ ، فقُتلَ شَهيدًا ، أنا شَهيدٌ عليهِ" ؛أخرجه النسائي (4/60)،شداد بن الهاد الليثي رضي الله عنه.

النبي صلى الله عليه وسلم يقول: أنا شهيد على ذلك، يشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على أنه شهيد، لكن هذه ثمار الصدق، رجل صدق الله فصدقه، وثبت من حديث سهل بن حنيف رضي الله عنه، ما يدل على أن الصادق خاتمته حسنة إن شاء الله، من صدق الله صدقة، النبي صلى الله عليه وسلم قال:"مَن طَلَبَ الشّهادَةَ صادِقًا، أُعْطِيَها، ولو لَمْ تُصِبْهُ"؛أخرجه مسلم(1908) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

وفي لفظ عند أبي داوود(1520)عن سهل بن حنيف رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:"من سألَ اللهَ الشّهادةَ صادقًا بلّغَه اللهُ منازلَ الشّهداءِ وإن ماتَ على فراشِهِ.

الحديث الأول عن أنس" وإن لم تصبه" فإن الله يختم له بها، وييسره إليه، ويدخله الجنة، لأن الله علم صدقه، الله لا ينظر إلى الصور وإلى الأموال وإلى الأجسام، إن الله لا ينظر إلى صوركم، ولا إلى أموالكم ولا إلى أجسادكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم"؛ رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

كان القلب صادقا ويعلم وقد علم الله صدقه، فإن هذا هو مادة النصر، في البخاري (3124)، ومسلم (1747) عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"غَزَا نَبِيٌّ مِنَ الأنْبِيَاءِ، فَقالَ لِقَوْمِهِ: لا يَتْبَعْنِي رَجُلٌ مَلَكَ بُضْعَ امْرَأةٍ، وهو يُرِيدُ أنْ يَبْنِيَ بهَا ولَمّا يَبْنِ بهَا، ولَا أحَدٌ بَنَى بُيُوتًا ولَمْ يَرْفَعْ سُقُوفَهَا، ولَا أحَدٌ اشْتَرَى غَنَمًا أوْ خَلِفَاتٍ وهو يَنْتَظِرُ ولَادَهَا، معناه أنه يتبعني أناس خلص، أهل ابتغاء دين الله، ونصرة دين الله، ليس لهم مقاصد أخرى ينتظرونها،

فَغَزَا، فَدَنَا مِنَ القَرْيَةِ صَلَاةَ العَصْرِ أوْ قَرِيبًا مِن ذلكَ، فَقالَ لِلشَّمْسِ: إنَّكِ مَأْمُورَةٌ وأنَا مَأْمُورٌ، اللَّهُمَّ احْبِسْهَا عَلَيْنَا، فَحُبِسَتْ حتَّى فَتَحَ اللَّهُ عليه، فَجَمَعَ الغَنَائِمَ، فَجَاءَتْ -يَعْنِي النَّارَ- لِتَأْكُلَهَا، فَلَمْ تَطْعَمْهَا، فَقالَ: إنَّ فِيكُمْ غُلُولًا، فَلْيُبَايِعْنِي مِن كُلِّ قَبِيلَةٍ رَجُلٌ، فَلَزِقَتْ يَدُ رَجُلٍ بيَدِهِ، فَقالَ: فِيكُمُ الغُلُولُ، فَلْيُبَايِعْنِي قَبِيلَتُكَ، فَلَزِقَتْ يَدُ رَجُلَيْنِ أوْ ثَلَاثَةٍ بيَدِهِ، فَقالَ: فِيكُمُ الغُلُولُ، فَجَاؤُوا برَأْسٍ مِثْلِ رَأْسِ بَقَرَةٍ مِنَ الذَّهَبِ، فَوَضَعُوهَا، فَجَاءَتِ النَّارُ، فأكَلَتْهَا. ثُمَّ أحَلَّ اللَّهُ لَنَا الغَنَائِمَ؛ رَأَى ضَعْفَنَا وعَجْزَنَا فأحَلَّهَا لَنَا.

إنما الشاهد أنه ينبغي التمحيص، وينبغي تصفية الصادق من غيره، واختبار ذلك، فإنه يُعلم الصدق بهذه المعاني، بآثاره، لنصره، لبركته، في البخاري (2079)، ومسلم (1532)،

عن حكيم بن حزام رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"البَيِّعَانِ بِالخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا.

انظر حتى على مستوى أمور الدنيا الصادق رابح، محبوب، مقبول، بيع

أبيض الوجه، والكاذب مع الريبة، وليس برابح، ممحوق البركة، الصدق بركة يا عباد الله، والله إنما نرى من الأحوال والأقوال والأفعال الآن الحاصلة في المسلمين من النكبات والفتن كلها بأضرار الكذب، وضعف الصدق، وإلا فإن الصادق من الله بخير.

الخطبة الثانية

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله، صفيه وخليله، الصادق الأمين، دعوته إلى الصدق، وهديه الصدق، فقد ثبت في

البخاري (2681)، ومسلم (1773)

عن أبي سفيان رضي الله عنه، أن هرقل لما سأل أبا سفيان عن النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يسلم أبو سفيان، قال فماذا يأمركم؟ أسئلة موجودة في الصحيحين من الحديث، ماذا يأمركم؟ قال اعبدوا الله لا تشركوا به شيئا، دعوته كلها إلى الصدق، الشرك كذب، أليس في جهنم يعني كل ذلك موصوف بالكذب في كتاب الله، الا لعنة الله على الكاذبين، الشرك كذب، افتراء على الله الكذب، قال الله :{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللهِ الْكذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ}[سورة الصف:7].

أن يكذب، يشرك بالله وهو يدعي الإسلام، الله لا يهدي القوم الكاذبين، يقول: اعبدوا الله لا تشركوا به شيئا، واتركوا ما يقول آباؤكم، اتركوا تقليد الآباء، والخزعبلات، والشركيات، والبدع، التي أنتم عليها، معناها أنه يهذبهم ويزكيهم على كتاب وسنة، ويأمرنا بالصلاة، والصدق، والعفاف، والصلة، هذه دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسائر الأنبياء، حتى إن كل واحد منهم يأتي إلى قومه يقول: وانصح لكم، وأنا لكم ناصح أمين، دعوة صادقة صافية، ما فيها غبش، من خالفها هلك، هذه دعوة الصادقين، وركب الصادقين، من الأنبياء والمرسلين، نعم ، ولهذا صاحب الصدق تجد عنده طمأنينة النفس، الأنبياء يدعون الواحد مفرده، يأتي إلى أمة ظالمة غاشمة مشركة، بها شتى الفتن، ويدعوهم بكل قوة، وبكل ثقة، وبكل طمأنينة، وبكل توكل على الله سبحانه وتعالى، لأنه على طمأنينة، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم للحسن قال:"فإنّ الصِّدقَ طُمأنينةٌ وإنّ الكذبَ رِيبةٌ"؛أخرجه الترمذي (2518)، وأحمد (1723) واللفظ لهما، والنسائي (5711)

مختصراً،عن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

مما علم النبي صلى الله عليه وسلم سبطه الحسن:" الصدق طمأنينة والكذب ريبة" طمأنينة في القول، في الفعل، في العقيدة، في العبادة، في كل شيء، تقيمها على صدق، على حق، على علم، على هدى، أنت فيه صادق مطمئن، على غير ذلك أنت مرتاب، ولهذا تجد الكذاب كثير الحلف، يريد أن يثبت ما يقول، ويريد أن لا يكذبه الناس، والله أنه مهما كذب كما قال عمرو بن العاص لمسيلمة الكذاب حين جاءه وقال ماذا أنزل البارحة على محمد؟ أو ماذا انزل هذه الأيام على محمد؟ قال: أنزل عليه سورة :{وَالْعَصْرِ (1) إِنّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2) إِلّا الّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقّ وَتَوَاصَوْا بِالصّبْرِ (3)}[سورة العصر:1،3].

قال وأنا أنزل علي مثلها، قال وماذاك؟ قال: يا وبر يا وبر ما أنت إلا أذن وصدر، بدأ من هذاك الهذرمة، نعم فقال له: والله إنك لتعلم أني أعلم أنك كاذب، يعني هذا عمرو بن العاص يقول لمسيلمة قديما ويقول أنت الآن تكذب، وكل من سمعك يعرف أنك كاذب، الشاهد أن الكذاب يكذب وهو يريد أن يبرر قوله، ويبذل الأيمان، كما وصف الله المنافقين،:{إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنّكَ لَرَسُولُ اللّهِ ۘ وَاللّهُ يَعْلَمُ إِنّكَ لَرَسُولُهُ وَاللّهُ يَشْهَدُ إِنّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ (1)اتّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنّةً} وقاية،{فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللّهِ ۚ إِنّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (2)}[سورة المنافقون:1،2].

ايها الناس إنّ هذا الصدق دليل هداية، من أراد الله هدايته لزمه في كل شيء، الظاهر والباطن،ومن والأقوال والأفعال والمعتقد، وفي كل شيء، حتى مع طفله، لو قال لطفله تعالى أعطك حلوى ولم يعطه يقول قد كذب عليه، هكذا جاء في بعض الأحاديث والآثار، يلازم الصدق في ذلك ويكون يعتقد أنه دين، في البخاري (6094)، ومسلم (2607)من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :"إنّ الصّدقَ يَهْدِي إِلَى البرّ، وَإِنّ البر يَهدِي إِلَى الجَنّةِ، وإنّ

الرّجُلَ لَيَصدُقُ حَتّى يُكتَبَ عِنْدَ اللّهِ صِدّيقًا، وَإِنّ الكذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ، وَإِنّ الفُجُورَ يَهدِي إِلَى النّارِ، وَإِنّ الرّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتّى يُكتَبَ عِنْدَ اللّهِ كذّابًا.

وإن الفجور يهدي إلى النار فهي وسائل، فمن أعظم وسائل الجنة وسائل البر والطاعة وسائل بياض الوجه في الدنيا والآخرة هو الصدق، ولهذا كان نبي الله إبراهيم يقول:{وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ (84)}[سورة الشعراء:84]

وذكر الله جملة من الأنبياء في ذرية إبراهيم، ووصف أنه جعل لهم لسان صدق، ووصف قدم الصدق، أي الإيمان الثابت،{الر ۚ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ (1) أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ}[سورة يونس:1،2].

والشاهد من ذلك قدم الصدق والثبات عليه، واليقين به، والثقة به، وعدم التزحزح فيه، هذا هو قدم الصدق وسابقيته عند الله سبحانه وتعالى، وحاج الله عز وجل المشركين بأنهم ما عندهم برهان على صدقهم يثبتونه، فذكرها في أول الأحقاف:{حم (1) تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (2) مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ (3) قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ۖ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (4)}[سورة الأحقاف:1،4]

هكذا ولما أراد الله عز وجل فضح المشركين الذين يحرمون بعض الأنعام بغير علم، وبغير هدى، حاجهم بالصدق، قال:{ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ۖ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ ۗ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ} يعني هل حرم الذكرين حرم الأنثيين أما في بطونها؟ {نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (143}[سورة الأنعام:143].

كل هذا يدل على أن الصدق هو الذي يُتحاكم إليه، ويرجع إليه، وما الجنة إلا دار الصادقين، ونفع الصادقين، هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم، كما قال الله سبحانه وتعالى:{ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (119)}[سورة المائدة:119].

وقال الله سبحانه وتعالى:{إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (54)فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ (55)}[سورة القنر54،55].

الجنة هي صدق ودار الصدق، دار صدق ومقعد الصادقين عند مليك مقتدر، أي عند الله سبحانه وتعالى، نسأل الله عز وجل أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته، وأن يمن علينا بصدق القول والعمل والمعتقد ظاهرا وباطنا، ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار، الحمد لله رب العالمين.

فرغها/ أبو عبدالله زياد المليكي